

بقلم :

د. إبراهيم عطا الله

الناحية الجغرافية

يقع ميناء التيز[1] في الشمال الغربي من منطقة مكران، وهذا الميناء وما وقع من المدن والقرى في جنوبي وشرقي مكران كان تابعاً لإقليم السند إدارياً وجغرافياً قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وبعد ذلك أصبحت المنطقة إقليماً مستقلاً أطلق عليه إقليم مكران[2] وإقليم مكران برمته يطلق عليه بلوشستان "بلوجستان" حالياً، وهذه التسمية أطلقت عليه منذ القرن الثاني عشر الهجري "الثامن عشر الميلادي"[3] وفي صدر الإسلام لم تحدد معالم إقليم مكران "بلوشستان" لأن الأجزاء الشمالية الشرقية مثل عاصمة بلوشستان الإيرانية والتي تسمى الآن مدينة زاهدان وقديماً دزدآب " أي ماء اللصوص" وما جاورها كانت تابعة لإقليم سجستان "سيستان"

حالياً، أما مثل مدينة إيران شهر وبربور "بميور حالياً" وما كانت واقعة شمال مكران فكانت تابعة إداريا لإقليم كرمان، والبقية تابعة لإقليم السند ومركزها الإداري فنزبور "بنجكور" حالياً، وميناؤها الرئيسي التيز[٤] بعد أن فتح الله على المسلمين منطقة مكران والسند كاملة، أصبحت مدينة فنزبور هي المركز الإداري ومقر الوالي المسلم من قِبَل الخلفاء لإقليم مكران كله، بما في ذلك الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية، أما قبل ذلك فكان والي مكران غالباً ما يقيم في بربور "بميور" ويؤيد ذلك :

أولاً: رواية الطبري وابن الأثير وغيرهما من أن أول جيش للمسلمين التقى بكفار مكران عند نهر، فنصر الله المسلمين عليهم، وظاهر أنه لا توجد أنهر في مكران، وأن النهر المقصود هو وادي بربور . لأن غزارة مياه الوادي تشبه النهر وهي جارية على الدوام .

* * *

ثانياً : أنه عند قدوم جيش المسلمين بقيادة محمد بن القاسم الثقفي إلى مكران التقى بأميرها محمد بن هارون وأقام عنده عدة أيام، ثم توجها إلى ديبل وأول ما واجههما من المعارك في فنزبور حيث لقيا الذين نقضوا العهد والكفار من أهلها، إلا أن الله فتحها على المسلمين، ثم تقدما إلى أرمابيل باتجاه ديبل .

فيظهر من ذلك أنه حتى تلك الفترة أي سنة ٩٣هـ كان مقر والى التيز ومكران برمته غير فنزبور[٥] وإقليم مكران الذي يسمى الآن بلوشستان "بلوجستان" كان كما ذكرنا مجزأ قديماً، وهو منقسم حالياً كذلك بين أربع دول : ١ - عمان. ٢ - إيران . ٣ - باكستان . ٤ - أفغانستان، فقد كان ميناء جوادر Gwader وضواحيه تابعاً لسلطان عمان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٨/٩/٢٧م وبعدها انتقلت ملكيته إلى باكستان[٦] وهكذا كانت حالة تيز مكران "جابهار" فقد أصبحت من أملاك سلطان عمان منذ ١٧٩٢م - ١٨٧٢م بعدها انضمت إلى إيران وكان والي عمان يحكم المنطقة حكماً مباشراً ويجبي منها سنوياً مائة ألف روبية هندية إلى خزينة السلطنة بمسقط[٧] .

ويقع ميناء تيزمكران شمال ميناء جبهار حالياً ويبعد عنه بأربعة أميال، على مرتفع بموضع واد . ومن الآثار الباقية قلعة مازالت موجودة وتبلغ مساحتها ثلاثة أميال مربعة تقريباً : ميل ونصف طولاً، ومائتي ياردة عرضاً، وفي الوقت الحاضر اتسع شابهار فضم كثيراً من أجزاء الميناء القديم، ويطلق علي تيزمكران حالياً "شابهار" لشهرته . ويقع شابهار حالياً شمال غرب ميناء جوادر الباكستاني بـ ١٥٠ كم تقريباً[٨] وهذه المرتفعات تحيط بالتيز من جميع الأطراف ماعدا الجنوب فيحده البحر وفي المرتفعات الشمالية مغارات بارتفاع ١٠٠ قدم على سفح المرتفعات، وربما كانت معابد النار للهندوس لحرق الموتى وبالسفوح صور بعض الحيوانات وموقع التيز مهجور ولا يوجد به حالياً إلا خمسون أو ستون من بيوت السعف والأكواخ[٩] والميناء واقع على رأس خليج يطلق عليه راسنون Rasnun (أنظر الخارطة) .

وبالغرب منه يقع رأس بيشخان Raspishkhan[١٠] وسعة الخليج عشرون فرسخاً طولاً وما بين ٨ – ١٢ فرسخاً عرضاً، وهذا الخليج أكسب مكران جمالاً و شهرة، ويطلق عليه خليج شابهار "جابهار"[١١] وجوها حار ورطب على مدار العام . وهي على الساحل، وأرضيتها مالحة ليست زراعية إلا أن بها أشجاراً ملائمة للسواحل مثل : الأثل، السدر جش Tchech كلير Kalir، الدوم "بيش Pich"، الأثل البري والبحري Pir توج Touj جكرد Tchegerd جكر Jogr، وزهرة العقرب[١٢] . وبسبب موقع المنطقة على الساحل، فالمياه بها شحيحة ويحفر أهلها الآبار للسقي أو يأتون بالمياه من خارج المنطقة وأقرب واد إليها هو ما يسمى حالياً نيم كور "أي نصف وادٍ" ويصب في البحر على بعد خمسة أو ستة أميال غربي التيز "جابهار"[١٣] .

وعلى أطراف تيزمكران أراض زراعية يكثر بها النخيل وغيرها من الثمار وبالتيز رباطات فاضلة ومسجد حسن، وكانت عامرة حين مرور المقدسي بمنطقة فارس وذلك في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[١٤] .

السكان

سبق أن ذكرنا أن أكثر الأجزاء الجنوبية والشرقية والساحلية لإقليم مكران كانت تابعة لحاكم السند، وهو من البراهمة، وهؤلاء قد استولوا على كثير من المناطق في تلك الناحية قبل الإسلام بفترة طويلة . وكان الحاكم عند الفتح الإسلامي هو داهر بن جج[١٥] والبراهمة ملكوا المنطقة واستعبدوا أهلها الأصليين وهم الميد والزط "الجت" فمن هؤلاء من بقي في عبوديته وصبر، ومنهم من أصبح من القراصنة "لصوص البحر"[١٦] ومنهم من انتشر وسكن صحاري السند ومكران والسواحل[١٧] ويوضح مير أحمد أن امتدادهم كان شمالاً على سواحل فارس : هرمز وسيراف وغيرهما لأكثر من أربعة وأربعين قرية ومدينة وميناء، قبل دخولهم الإسلام حتى سنة ٦٦٤م . ويذكر المباركبوري أن من الزط والسيابجة من هاجر إلى مناطق الجزيرة العربية وغيرها قبل الإسلام وبعده، كاليمن، ونجران، ومكة واليمامة، والبحرين والخط، وهجر، ودارين، والقطيف وعمان، خاصة صحار، إلى جانب العراق والشام فقد رُوي أن طبيباً زطياً عالج السيدة عائشة رضي الله عنها بالمدينة المنورة . وكان أكثر الميد صيادي أسماك وسمكة التيز كبيرة جليلة وهي أفضل الأنواع وكان طعام أهل تيز السمك وطير الماء[١٨]، ويذكر إيرج أنه عند ميناء تيز مكران "جابهار" يوجد قرابة مائتي صنف من الأسماك ومن أجود الأنواع وأفضلها وأعلاها . ١ - الحلو . ٢ - قباد . ٣ - الأسدي . ٤ - هامور ٥ - عروس البحر . ٦ - ينامة . ٧ - سنجسر وغيرها . ويذكر ابن حوقل أن أكثر الذين يقطنون البراري والصحاري هم من الزط . وغذاؤهم الرئيسي الألبان والأجبان وخبز الذرة، لأنها تزرع كثيراً هناك وهم أصحاب إبل وجمال . وجمال مكران من أجود الأنواع المشهورة في الأقطار، ويصف حياتهم أنها في الغالب كحياة البربر وأكثرهم رجالة قليلو الدواب[١٩] .

وقد مارس الميد مهنة صيد السمك في السواحل وخاصة في ساحل وخليج تيزمكران . لأن البحر هادئ الأمواج . وإلى فترات متأخرة، كان أهالي المناطق الساحلية المجاورة "لتيزمكران" يأتون لصيد السمك في هذا الخليج، لأن عمق خليج التيز لا يزيد عن ثمانية عشر متراً مع أن عمق البحر الهندي مقابل التيز

يبلغ ٣٣٩٨ متراً . كما أن عمق ساحل البحر نفسه عند هرمز يبلغ ٧٣ متراً . هذه العوامل الطبيعية شجعت الصيادين لارتياد هذا الخليج على الدوام . إضافة إلى الجانب الأمني الذي جعل كثيراً من السفن التجارية الكبيرة ترسو في خليجها على بعد كيلومتر من الساحل ثم تنقل بضاعتها إلى ميناء التيز بواسطة زوارق وسفن صغيرة[٢٠] أما الصنف الآخر من السكان وهم السكان الأصليون للتيز ومكران فهم القفص والبلوص "كوج وبلوج" وكان أغلبهم يقطنون على حدود كرمان وسجستان أي شمال وشمال شرقي مكران حتى سنة ٥٥٠م وبعد هذه الفترة حمل عليهم أنوشيروان فقتل من قتل وذبح من ذبح ونزح الباقون إلى الجنوب والوسط من مكران حتى حدود السند وإلى مناطق متفرقة وبعيدة[٢١] وقد هرب كثير منهم من التيز وجوادر والسواحل إلى أفغانستان والهند وحدود روسيا خاصة إلى أشك أباد "عشق أباد" حالياً[٢٢] .

ولم يستقر لأهل التيز وإقليم مكران حال ولم ينالوا حقوقهم وقدرهم إلا في ظل الإسلام وهذا اعتراف من أحد البلوص المعاصرين المنصفين يقول محمد سردار خان *"لم ير أهل مكران حقوقهم الإنسانية حتى في عهد الحضارة الحديثة في القرن الرابع عشر الهجري "العشرين الميلادي" من أيدي الهنود والباكستانيين والفرس ولا قبل الإسلام مثل ما حصل لهم أيام الفتوحات الإسلامية العربية وحكمهم للمنطقة بالعدل فقد بلغ الرقي والغنى، بسبب التجارة والمعاملة الحسنة حداً بعيداً وهاهم اليوم عادوا كما كانوا قبل الإسلام من البؤس والحرمان[٢٣] وممن سكن التيز وسواحل مكران والمناطق الداخلية كثير من القبائل العربية والهندية وأقوام آخرون .*

حتى بلغت الكثافة السكانية في التيز ما هو مشاهد في العصر الحاضر[٢٤] ففي العصر الحاضر يبلغ سكان جابهار "التيز" حوالي ستة آلاف نسمة[٢٥] والسكان الأصليون كانوا ومازالوا متوسطي القامة، ممشوقي القوام، هيف القدود ذوي عضلات مفتولي الساعدين. ومدوري الرؤوس، مربعي الوجوه ، مستقيمي الأنوف كحل العيون، شعورهم طويلة وزيتية سوداء[٢٦] والغالب على خلقتهم النحافة والسمرة وتمام

الخلقة[٢٧] *ويقول المقدسي عن أهل مكران وهم قوم وسط المال لا علم لهم ولا ظرف"*[٢٨] والغالب على القفص والبلوص، الجلد وشدة العيش وقساوة القلب، ويتميزون بالصراحة والإخلاص والوفاء والأمانة[٢٩].

اللغة واللباس

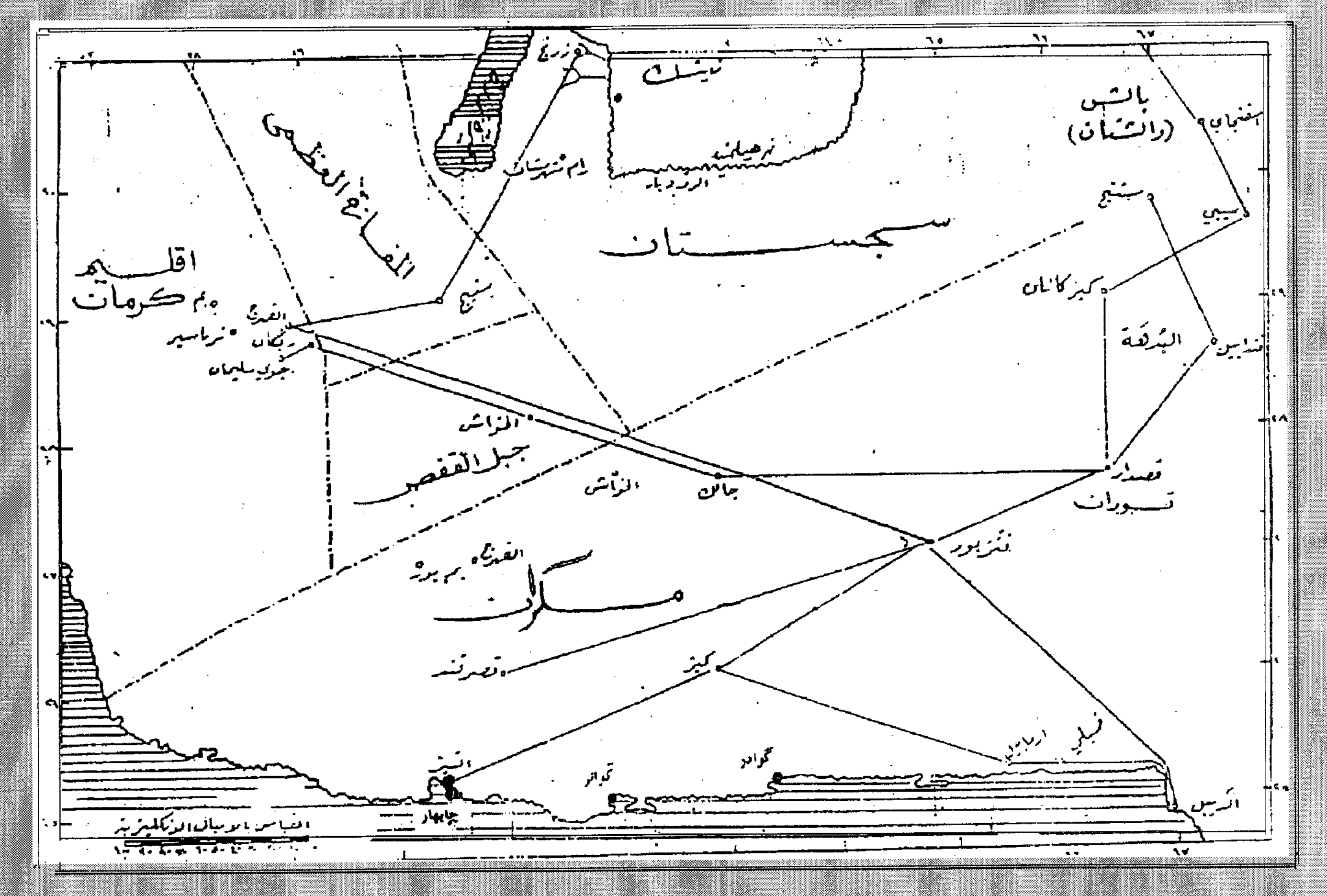
يقول المقدسي : لغة أهل تيزمكران الفارسية، والمكرية "والبلوصية" وكلامهم يشبه أصوات الطيور بقرب أول مخرج[٣٠] واللغة البلوصية "البلوشية" تشبه كثيراً اللغة الفارسية وهي من اللغات الآرية[٣١] وكثير من ألفاظ اللغة البلوشية تمتزج مع اللغة العربية، إلا أن أكثر ألفاظها فارسية والكتابة مثل الفارسية[٣٢] أما الزط والميد فكانوا يستعملون اللغة الدراوينية "الهندية القديمة" بجانب اللغة البلوصية[٣٣] أما لباسهم وما يتزينون به، فكان "الرجال" يلبسون القراطق، أما التجار فكانوا يلبسون القمص والأردية والعامة يلبسون لباس أهل فارس والعراق[٣٤].

وكانوا يسبلون الشعور، ويشققون الآذان مثل أهل الهند، ويعلقون الحلقات الفضية والذهبية ويكثرون لبس الإزار "لحرارة المنطقة"[٣٥] كذلك كان التجار والأعيان يتعممون بالفوط والمناديل المصفحة بالذهب مثل تجار العراق وفارس وحكامهم يتشبهون بزي ملك الهند[٣٦].

وكانت دياناتهم الزرادشتية لمجاورتهم الإمبراطورية الفارسية، وبعضهم على الديانة الهندوسية لأن بعض أجزاء المنطقة كانت تابعة لملك السند، ومنهم من لا يعتقد شيئاً لتفشي الجهل بسبب الظلم عليهم، وسبب انتشار الديانة الزرادشتية أنه بعد مقتل يزدجرد الثالث بيد المسلمين سنة ٧٢٠م ثم تتابعت الفتوحات في العهد الأموي فرّت كثير من الأسر والعوائل من أصفهان إلى مناطق نائية بدينها الزرادشتي ومن هذه المناطق تيزمكران والسواحل الهندية[٣٧].

الناحية التجارية والطرق البحرية والبرية

يعتبر تيزمكران الميناء الرئيسي لإقليم مكران والمركز التجاري لتصدير واستيراد بضائع كرمان وسجستان[٣٨].



إقليم مكران مع قسم من إقليم سجستان

وهو ميناء قديم كانت السفن التجارية ترتاده منذ آلاف السنين(٣٩) . يقول الإدريسي عن الميناء : وغربي كيز يقع ميناء التيز على البحر، وهي مدينة صغيرة لكنها مشهورة وعامرة بالسفن والمراكب التي تأتي من عمان وفارس وجزيرة كيش فهي ذات ثراء بالتجارة وقد أطلق عليها البيروني بأنها قصبة مكران، لعظم شأنها التجاري وحركة السفن العالمية إليها[٤٠] ومكانة هذا الميناء وأهميته ليست مقصورة على إقليم مكران أو تجارة سفنه، وإنما أخذ شهرة بين الشرق والغرب خاصة لمرور ورسو السفن التي تأتي من البصرة والأبلة ومنطقة الخليج المتجهة إلى أقصى الشرق أو الهند .

وحتى التي كانت تريد عمان وعدن وبحر القلزم "البحر الأحمر" وموانئها . لابد أن تمر على ميناء تيزمكران، لأغراض عدة، منها أن الفجوة والمسافة فيما بين موانئ سواحل فارس أو عمان بعيدة عن موانئ الهند والسند مثل ديبل "كراتشي" تقريباً وتانه "بمنى" .

والسبب الثاني أن السفن التي تأتي من الشمال فتمر على سيراف كانت تخشى بعد مرورها مضيق هرمز القديم "ميناب حالياً" كانت تخشى اللصوص قراصنة البحر من الزط والميد وغيرهم وخاصة في بحر العرب وبحر الهند بالقرب من ميناء ديبل وما جاوره، فالناحية الأمنية أعطت التيز أهمية أكبر ورغبة في ارتياد السفن فترسو في ميناء التيز لتمون نفسها بما تحتاج إليه للانطلاق إلى المسافات الطويلة من موانئ الهند، ملبار وكولم ملي، والشرق أو إلى موانئ عمان صحار ودبا وقلهات وهكذا إلى عدن وبحر القلزم[٤١] .

وسبب ثالث أنه بعد الفتح الإسلامي لجأ كثير من الناهضين للخلافة الأموية منذ ٩٣هـ - ٧١٢م من الخوارج وغيرهم عن طريق هرمز أو عمان إلى مكران وانتشروا فيها عن طريق ميناء التيز فكانت الحركة دائبة ليلاً ونهاراً[٤٢] . والسفن التي تنطلق من الأبلة والبصرة إلى الصين والشرق الأقصى، لابد من أن تمر على موانئ مثل جزيرة قيس وهرمز القديم وتيزمكران والديبل وهكذا[٤٣] .

والسفن التي تنطلق من الخليج وعمان محملة، ببضائع مختلفة تبيع وتفرغ حمولتها في تيزمكران وديبل وكولم ملي . ثم تعود محملة ببضائع

السند والهند فتقف عند تيزمكران وتتزود بالوقود والمياه حتى تواصل السير نحو عدن فجده ثم إلى عيذاب[٤٤] كما كانت التيز إحدى منطلقات السفن إلى شرقي أفريقيا "الحبشة" حتى إلى زنجبار، وكذلك إلى البحرين ومناطق الخليج الأخرى بل كانت التيز تستقبل سفناً من غير هذه المناطق[٤٥] .

وكذلك السفن القادمة من أقصى الشرق تمر وترسو في ميناء التيز ومنها تأخذ أحد مسارين إما إلى صحار وموانئ عمان والجزيرة العربية مثل أوال ودارين والقطيف وغيرها أو تأخذ الخط الشرقي الساحلي باتجاه البصرة والأبلة وهذه الحركة الدائبة استمرت بقوتها حتى القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ثم ضعفت حتى القرن الرابع عشر الهجري "العشرين الميلادي" والآن أخذ دورها يعود ثانية منذ نصف قرن كما ذكرنا[٤٦] وهناك موانئ صغيرة على ساحل مكران والسند كانت تأتي إليها السفن المحلية الصغيرة التجارية وغيرها أما ميناء التيز فكانت السفن الكبيرة والعالمية ترسو به، وهذه السفن الضخمة كانت تدفع ضرائب للميناء فالسفن الصينية تدفع ألف درهم، أما السفن الإسلامية العربية فكانت تدفع عشرة دراهم إلى درهم واحد إكراماً للعرب، أما بعد الفتح الإسلامي، فقد خصصت ضرائب معينة معروفة[٤٧] .

الطرق البرية إلى تيزمكران

لم تقل الحركة التجارية البرية قدراً عن التجارة البحرية، فكانت القوافل أو صاحب البريد ينطلق من بغداد مروراً بالبصرة والأهواز وشيراز . ثم سيرجان ونرماشير، وفهرج، وبربور وقصر كند "كسرقند" حتى يصل إلى تيزمكران ثم يتابع سيره إلى كيزوكلوان "كلوا حالياً" وهي آخر حدود مكران، ثم راهوق وهي أول مدن السند وأرمابيل "ليس بيله" وديبل وهكذا شرقاً[٤٨] أما القوافل التي تنطلق من التيز محملة بالبضائع ومتجهة إلى كيز، فمن كيز تأخذ مسارين شرقاً إلى أرمابيل مباشرة وقمبلي "هب حالياً" حتى تصل ديبل أو تتجه من كيز باتجاه الشمال الشرقي فتصل فنزبور "بنجكور" ومنها إلى ديبل مباشرة . أو تأخذ مساراً من فنزبور إلى

قصدار أو الشمال الغربي إلى الفهرج من إقليم كرمان(٤٩) وهناك طريق شمالي مباشر من التيز إلى سيستان أو هرات(٥٠) أو من التيز إلى قندهار ثم كابل ومن كابل إلى ملتان أو من قندهار تسير القوافل مباشرة إلى الملتان(٥١) .

صادرات ميناء التيز

إلى جانب تبادل السلع الآتية من الشرق والغرب ثم تصديرها إلى مناطق مختلفة برية وبحرية . فقد كانت هناك سلع محلية خاصة من المواد الغذائية، إذ كانت تصدر إلى الأقطار المنتوجات الزراعية مثل قصب السكر "قند" والفانيد المشهور "سكر النبات" والنارجيل، والقنا، والخيزران، والتمر، ورماح مكران مشهورة وتصدر عن طريق التيز إلى جميع الأقطار(٥٢) وأسماك خليج التيز مشهورة، وهي أجود الأنواع عالياً وكانت تصدر إلى الخارج(٥٣) يقول ياقوت عن مكران، وهي معدن الفانيذ ومنها ينقل إلى الآفاق وأجوده الماسكاني، أحد مدنها وقصب السكر والتمر(٥٤) ومن المنتجات الزراعية الأرز، فكانت أيضاً تصدره إلى المناطق الإسلامية(٥٥) .

العملة

حولت الخلافة الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان رحمه الله التعامل عن العملة الفارسية والبيزنطية "الدرهم والدينار" إلى السكة الإسلامية فكانت تضرب في كشمير من عواصم الأقاليم الإسلامية سواء في عهد الأمويين أو العباسيين أو الدول المتعاقبة ويذكر اسم الوالي والإقليم والفترة في العملة كما كان الدينار اليوسفي واليعقوبي المعروف نسبة إلى ولاة الأمويين في العراق لوجود معدن الذهب والفضة في العراق وهكذا في كثير من المناطق الإسلامية مثل برهمان آباد المنصورة "حيدر آباد الباكستانية حالياً" من العصر العباسي والأمثلة كثيرة إلا أنه لم يثبت إصدار عملة مستقلة باسم حاكم إقليم مكران في التيز في صدر الإسلام ربما لقلة المصادر المالية ولقلة هذا المعدن الثمين، ولم يجد الباحثون شيئاً من ذلك حتى القرن الثالث عشر الهجري "التاسع عشر الميلادي" ١٢٣٧هـ - ١٨٢١هـ(٥٦) .

وبسبب هذه الحركة التجارية العالمية التي كانت تدر لأهل تيزمكران وعلى الإقليم كله، إلى جانب الدخل الآخر فقد كانت الخلافة تجبى من إقليم مكران إلى بغداد في عهد العباسيين مليون درهم سنوياً حتى ٢٠٤هـ [٥٧] .

الفتح الإسلامي لميناء تيزمكران

كانت أراضي منطقة مكران أهم المعابر البرية والبحرية للقوافل والتجار ثم للجيوش العابرة من الشمال إلى الشرق أو العكس كما حصل في عبور الإسكندر المقدوني قبل الإسلام عند عودته من الهند سنة ٣٢٦ قبل الميلاد[٥٨] .

وكذلك أصبحت هذه الأراضي المعابر الرئيسية للجيوش الإسلامية وأصبحت بيد المسلمين العرب لأكثر من ثلاثة قرون حتى نهاية القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي"[٥٩] فالفتوحات الإسلامية للهند والسند ومكران أخذت ثلاثة مسارات : الجيوش البرية تعبر الكوفة والبصرة وإقليم فارس وكرمان حتى تصل مكران ثم السند فتأخذ طريق القوافل في فتحها لمكران أو السند .

أما ما كانت تنطلق من الخليج بحراً متجهة إلى مكران أو السند فتنزل على الساحل الفارسي جنابة أو سينيز أو سيراف ثم تأخذ الطريق البري كما سبق . والمسار الثالث الجيوش البحرية التي هاجمت موانئ الهند : تانه أو ديبل وغيرهما .

فكانت تنطلق من موانئ عمان : صحار ومسقط وقلهات ودبا وهكذا فكانت أولى الحملات في عهد سيدنا عمر ﷺ سنة ٢٣هـ بقيادة الحكم بن عمرو التغلبي وهو صحابي جليل ومعه كثير من الصحابة فكان مساره عن طريق البر وحين وصول الخبر إلى أهالي مكران استنجدوا بملك السند[٦٠] فأمدهم ملك السند وكان آنذاك آخر ملوكهم وهو داحر بن جج بن سيلانج البرهميٍ وهذه الأسرة حكمت قرابة ثمانين عاماً حتى قضى عليهم محمد بن القاسم الثقفي نهائياً سنة ٩٣هـ - ٧١٢م[٦١] .

فأمدهم هذا الملك بجنود وفيلة وأعتدة أخرى يقول الطبري فانتهوا جميعاً إلى دوين النهر وقد انفض أهل مكران . فاقتتلوا حتى نصر الله المسلمين

وأرسل الحكم صحار العبدي بخبر النصر مع الغنائم إلى عمر ﷺ وكان من شأن سيدنا عمر أن يسأل عن كل قادم إلى المدينة عما جرى للمسلمين في المنطقة التي يقدم منها وعن صفة البلاد والعباد فقال صحار العبدي أمام عمر ﷺ ***"هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير فيها قليل، والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها"*** . فقال عمر : ***"لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت"***(٦٢) وقد تضاربت الروايات وذكر المؤرخون أسماء قيادات وحملات كثيرة في عهد سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي ومعاوية ﷺ بمختلف الأزمنة فمن الصحابة والتابعين من قاد الجيوش وفتح مناطق فاستشهد أو قتل ومنهم من عاد إلى دار الخلافة وأناب عنه آخر في مكران حتى حدود السند طوران "قصدار وقيقان وقندابيل" فكثرة الحملات، التي تدل عليها تلك الروايات، كانت إما بسبب نقض العهود والخروج على الخلافة مرات من المناطق المذكورة . أو أن المسلمين حاولوا التقدم سنة بعد سنة إلى اتجاه فتح السند فلم تستقر الأحوال حتى فتح الله على المسلمين السند كلها على يد محمد الثقفي رحمه الله .

وحين نذكر فتح مكران أو السند باعتبار تيزمكران جزءاً رئيسياً من إقليم مكران فما حصل للإقليم حصل لميناء تيز . وهذه أسماء بعض القادة للجيوش الإسلامية أو بعض الولاة والأمراء لإقليم تيزمكران ومكران عامة، وبعض أجزاء السند منهم من قاد معارك في شمال مكران مع القفص والبلوص، ومنهم من توغل حتى وصل بلاد البدهة :

١ - الحكم بن عمرو التغلبي وسهل بن عدي الأنصاري سنة ٢٣هـ - ٦٤٣م.

٢ - عبيد الله بن معمر التميمي ٢٩هـ - ٦٤٩م .

٣ - مجاشع بن مسعود السلمي ٣١هـ - ٦٥١م .

٤ - سعيد بن كندير القشيري سنة ٣٥هـ - ٦٥٥م .

٥ - الحارث بن مرة العبدي ٣٨/٣٩هـ - ٦٥٨/٦٥٩م .

٦ - عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي ٤١هـ - ٦٦١م .

٧ - راشد بن عمرو العبدي ٤٢هـ - ٦٦٢م وفي رواية من ٥١/٥٣هـ - ٦٧٢/٦٧٦م.

٨ - عبد الله بن سوار العبدي ٤٣هـ - ٦٦٣م والولاية الثانية ٤٧هـ - ٦٦٧م واستشهد فيها وفي رواية كانت ولايته من ٤٦/٤٩هـ ٦٦٦/٦٦٩م .

٩ - سنان بن سلمة الهزلي ٤٨هـ - ٦٦٨م وفي رواية أنه كانت ولايته الأولى سنة ٤٩/٥١هـ ٦٦٩/٦٧١م والولاية الثانية ٥٣/٥٧هـ - ٦٧٢/٦٧٦م .

١٠ - المنذر بن جارود العبدي٦١هـ - ٦٨٠م وقيل منذ ٥٩/٦٣هـ - ٦٧٨/٦٨٢م .

١١ - الحكم بن المنذر بن جارود العبدي ٦٣/٦٤هـ - ٦٨٢/٦٨٣م .

١٢ - سعيد بن أسلم الكلابي ٧٥/٨٠هـ ٦٩٤/٦٩٩م وبعد سعيد تولى الخوارج المعروفون بالعلاقيين أمر مكران منذ ٨٠/٨٥هـ - ٦٩٩/٧٠٤م وقد قتل العلاقيون الوالي سعيد بن أسلم واستمروا في الحكم حتى أرسل الحجاج الوالي .

١٣ - مجاشع بن سعد التميمي ٧٦هـ - ٦٩٥م وقبل ٨٥/٨٦هـ ٧٠٤/٧٠٥م .

١٤ - محمد بن هارون النمري سنة ٨٠هـ - ٦٩٩م وأصح الروايات أنه تولى ٨٦/٩٢هـ - ٧٠٥/٧١٠م .

١٥ - محمد بن القاسم الثقفي ٩٣هـ - ٧١١م فقد توجه من العراق سنة ٩٢هـ - ٧١٠م ماراً بشيراز وكرمان حتى وصل مكران والتقى بواليه محمد بن هارون وأقام أياماً ثم توجها إلى ديبل لفتحها وفي طريقها واجها مقاومة من أهالي فنزبور لكن الله نصرهما عليهم ثم تقدما إلى أرمابيل وأدركت الوفاة الوالي محمد بن هارون هناك ودفن بها وبعدها توجه الثقفي إلى ديبل ففتح الله عليه ذلك والسند كلها واستقرت الأمور في تيزمكران والإقليم عامة فأصبح والي التيز ومكران يقيم بفنزبور، وأصبحت المركز الإداري والتجاري والسياسي لإقليم مكران[٦٣] .

د. إبراهيم عطا الله البلوشي
أستاذ التاريخ الإسلامي
بجامعة الإمارات العربية المتحدة

الهوامش

١ - تاج العروس جـ ٤ ص ١٢ . وأطلق هذه التسمية على الميناء وذلك بسبب الحركة التجارية الدائبة للسفن من وإلى الهند والشرق والغرب . يقول الزبيدي .... الخ

٢ - Encyclopedia Of Islam . Brill, 1991 .V. V1 , P.192-3

٣ - C.E. Bosworth : Studia Iranica :Rulers of Makran And Qusdar In The Early Islamic Period, London, 1994 P. 199.

٤ - كامل القادري : قديم بلوجستان، كراجي ١٩٧١م ص ٩١ - ٩٤ .

◆ وسميت زاهدان (ماء اللصوص) لأن صحراء سجستان ليس بها ماء ولا بشر، فكان قطاع الطرق يزودون أنفسهم من هذا الماء إلى أن عمرت المنطقة . ووصف المنطقة ولصوصها موجود في المصادر الإسلامية .

٥ - تاريخ الرسل، القاهرة ١٩٦٣م جـ ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ .

◆ الكامل بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م جـ٣ ص٩٩ - ١٠٠، جـ٤ ص٥٣٧

◆ البلاذري : فتوح البلدان، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ص٤٢٠ - ٤٢٣ .

◆ A.W. Hughes : The Country of Baluchistan, Quetta Pakistan, 1977, P.61

◆ G.N.Curzon : Persia And The Persian Question, London, 1966. V.2 P. 264, 266.

◆ Sykes : History of Persian. London, 1915 V.1 P. 298.

◆ A.T. Wilson : Persia, U.S. 1933 P.10.

◆ Muhammad Sardar Khan Baluch : The Great Baluch, Bakistan, Karachi, 1965. P.55.

وبمبور أكبر مدينة في مكران، وهي مدينة أثرية قديمة وقد مر بها الإمبراطور الإسكندر المقدوني، حين عودته من الهند ٣٢٦ ق. م . ونهر بمبور الذي يطلق عليه "هليل رود" - تجتمع مياهه في خليج هامون - "جازموريا" وعمق وادي هليل ١٩٠٠ قدم ولا يعرف نهر بهذا المستوى في مكران إلا هذا النهر، وهو شمال بمبور بثلاثة أميال، راجع :-

- G.N.Curzon : Persia And The Persian Question, V.2, P. 264 - 266.
- Sykes : History of Persian. London. V.1 P. 298 A.T. Wilson : Persia. U. S. 1933, P. 10.
- Muhammad Sardar Khan Baluch : The Great Baluch, Bakistan, 1965, P.55.

٦ - جريدة جنك JANG ، العدد الخامس، كراجي ١٩٩٥/١/٢٧م ص٥ - صاحب المقالة، سليم إيم ميان بعنوان "جوادر في التاريخ" .

٧ - ♦ J.M. Kinneir : Geographical Memoir of The Persian Impire, London, 1813
- G.N. Curzon : Persian, V.2 P. 257- 8. P. 206

وجابهار هذه بنى الشاه بها سنة ١٩٧٠م أكبر قاعدة عسكرية بحرية وجوية في المحيط الهندي بل وفي الشرق الأوسط .

- Asdulla Alam : The Shah and I London1991. P. 105- 6.

٨ - Lorimer : Gazetteer of The Persian Gulf, Geography Part. India 1970. V.2 P. 1145, 1147, 1155.

ولمزيد من المعلومات عن القلعة والآثار بتيزمكران، راجع :

- أحمد اقتداري : آثار شهرهاي باستاني، تهران ١٣٤٨هـ ص٣٩٦ - ٤٠١ . وتبعد جابهار عن إيران شهر ٢٢٠ كم وعن طهران ٢٤٠٦ كم عن طريق زاهدان وكرمان كما أنها تبعد عن كرمان ١٢٧٣ كم وعن زاهدان ٧٥٦ كم .
- فرهنك جغرافي إيران، جـ٨ ص ١٠٨ .

٩ - J.M. Kinneir : Geographical, P. 206 .

١٠ - Sykes : History of Persia, 1912 V.2 Map. S.O. No. 369.

١١ - ذبيح الله ناصح : بلوجستان، طهران ١٩٦٦م ص ١٧٧ .

١٢ - سبهد أمان الله : سر كزشته بلوجستان، ص ٩٦ .

١٣ - Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan, Karachi 1975, P. 58.

١٤ - المقدسي أحسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦م، ص ٤٧٨ . والرباطات هي الفنادق في العصر الحاضر، فكانت موجودة في المدن والمراكز التجارية والموانئ الرئيسية وهي جمع أربطة .

١٥ - خان بهادر خداداد خان : لب تاريخ سند، كراجي ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ص ١٤ - ١٦ .

١٦ - الطرازي : الموسوعة الإسلامية لبلاد السند والهند، السعودية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، جـ٢ ص١١١ .

١٧ - ابن حوقل : صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٩م ط ٢، ص ٣٢٣ .

١٨ - المباركبوري : العقد الثمين في فتوح الهند . بمبي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ص ١٥ - ١٧ .

◆ Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan Karachi, 1975 . P. 58.

١٩ - ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٢٣، ٣٢٨ -

◆ إيرج سيستاني سيستان بلوجستان، تهران ١٣٦٣هـ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢٠ - سيروس نيساري : كليات جغرافي إيران، تهران ١٣٥٠هـ - ١٩٧١م ص ٨٨ .

◆ ذبيح الله : بلوجستان، ص ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٣ .

◆ محمد برقعي : نظري به بلوجستان، سفر نامه طهران، ١٣٥٠هـ - ١٩٧٨م، ص ١٦٢ .

٢١ - ◆ M.A. SHAH : Sardari Jirga in Baluchistan. Pakistan Quettan 1992. P. 5,12.

◆ Mir Khuda Bakhsh Marry : Search Light on Baluch. And Baluchistan Pakistan Quetta, 1977 P. 7370.

٢٢ - معن العجيلي : بلوشستان ديار العرب ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ١٣٤ .

٢٣ - M. Sardar : History of Baluch, P. 230.

٢٤ - ذبيح الله بلوجستان، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

٢٥ - كتابشناسي : أطلس جيبي، إيران، ص ١٣٠ وفي العصر الحاضر يعتبر ميناء جابهار "التيز" مركز الإقليم ويتبعها عدة قرى ومدن، مثل مدينة دشتياري عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ فرد في القرن الثالث عشر الهجري "التاسع عشر الميلادي" والتي تبعد عن جابهار "تيزمكران" ٧٢ كم . ومدينة نيكشهر ١٦,١٠٦ أفراد وتبعد عن جابهار بـ ١٦٢ كم ومدينة قصرقند ١٠,٢٣٣ فرداً وتبعد عن جابهار بـ ٢٣٤ كم

راجع : سبهد أمان الله : سركز شته بلوجستان، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

٢٦ - Donald N. Willer : Pakistan Its People Its Society. U.S. 1963, P55

٢٧ - الأصطخري : المسالك والممالك، بريل ١٨٧٠م، ص ١٦٤ .

٢٨ - أحسن التقاسيم، ص ٤٧٨ .

٢٩ - Saeed Abdulqadir : The Tribal Baluchistan, Pakistan 1990. P.75

٣٠ – أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢ .

٣١ – Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan Karachi, 1973 . P61

٣٢ – Lorimer : Gazetteer of The Persian Gulf, V.2, P. 1137 .

٣٣ – Hilary Adamson : Traveling to Pakistan, Pakistan 1981. P.328.

٣٤ – الاصطخري : المسالك والممالك، ص ١٧٧ .

٣٥ – المقدسي : أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢ .

٣٦ – الطرازي : الموسوعة . جـ ٢ ص ١٤٦ .

٣٧ – قاضي عبد الرحمن صابر : مكران تاريخ كي أهينة مي، كراجي ١٩٦٧م ص ١٠٢ .

♦ Richard. N. Frye : The Golden Age of Persia London, 1975. P. 96.

٣٨ – Bosuworth : Journal of The British Institute of Persian Studies, Qufchis in Persian History XIV, 1976. V.2 P.9.

٣٩ – Mexsellany : Pakistan, Karachi, 1958 VII, P. 11

٤٠ – نزهة المشتاق : روما، ١٩٦٦م ص ١٧٣ .

♦ البيروني : تحقيق ماللهند من مقولة، حيدر أباد، الهند ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م ص ١٦٧ . وكيز هي "تربت حالياً تبعد عن التيز بخمس مراحل ومن كيز إلى فنزبور مرحلتان، ومن أراد من فنزبور إلى التيز فطريقه على كيز ومن التيز إلى البدهة وهي منطقة كيز كانان "قلات وكجي" حالياً في عشرة .

♦ مراحل الأصطخري : المسالك، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

٤١ – راجع الطرازي : الموسوعة، جـ ٢، ص ١٠١ فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي، القاهرة، ١٩٥٨م ص ٢٠٩ .

٤٢ – عمان وتاريخها البحري : وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ص ٣١ – ٣٢ .

٤٣ – حوراني : العرب والملاحة، ص ٢٠٩ .

٤٤ – الطرازي : الموسوعة . جـ ٢ ص ١٠١ .

٤٥ – M. Sardar Khan Baluch : History of Baluch, Karachi, 1958. P181/182 .

٤٦ – R. Roolvink and Others : History , Atlas, Amsterdam 1957 P.17/18 .

٤٧ – الطرازي : الموسوعة، جـ ٢ ص ١٠١ – ١٠٢ .

٤٨ – الأصطخري : المسالك، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

◆ الطرازي : الموسوعة جـ ٢ ص ١٠٣، ١٨٦ .

٤٩ – كي، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ت : بشير وغيره بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ط ٢، أنظر الخارطة رقم ٧ ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

٥٠ – باستاني باريزي : يعقوب ليث، طهران ١٣٤٤هـ ص ٨٧ .

٥١ – R. Roolvink : History Atlas, P. 18.

٥٢ – الطرازي : الموسوعة جـ ٢ ص ١٠٥

◆ ابن الفقيه : كتاب البلدان ليدن ١٣٠٢هـ ص ٥٠ .

٥٣ – Mir Khan : Inside, P. 47.

٥٤ – معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٨٠ .

◆ راجع الأصطخري : المسالك ص ١٧٧ .

٥٥ – Bosworth : Roler of Makran, P. 200.

٥٦ – Bosworth : Same P. 204. H. 20.

٥٧ – أبو الفرج البغدادي : كتاب الخراج، بريل ١٨٨٩م ص ٢٣٦، ٢٤٢ .

٥٨ – A.T. Wilson : Persia. U.S. 1933. P. 10.

◆ P.M. Sykes : History of Persia, P. 12, 277, 297.

٥٩ – M.A. Shah : Sardary, P. 12 - 13.

٦٠ – الطبري : تاريخ الرسل، القاهرة ١٩٦٣م جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

◆ المباركبوري : العقد الثمين ص ٥٠ .

٦١ – خان بهادر خداداد خان : لب تاريخ سند ص ١٤ – ١٦ .

٦٢ – الطبري : تاريخ الرسل، جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

◆ ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص ٥٥٤، جـ ٣ ص ٤٥ – ٤٦ .

وقد سبق أن ذكرنا عن النهر وموقعه حسب الروايات التي هي أقرب للصواب، لأن المؤرخين والجغرافيين القدامى لم يذكروا موضع ومسمى النهر، وإنما مجموع الروايات تدل على النهر المسمى بنهر بمبور "بربور قديماً" وهناك رواية في مرجع متأخر تذكر أن النهر هو نهر مهران "نهر السند" .

◆ الطرازي : الموسوعة، جـ ١ ص ١٣٣ – ١٣٤ .

٦٣ - راجع المباركبوري : العقد الثمين، ص ٥١، ٥٢، ٧١، ٧٤، ٨١، ٨٤، ٩٤، ٩٩، ١٠١، ١١٠، ١٢٠، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٧، ١٥١ .

- الزركلي : الأعلام، بيروت ١٩٧٩م ط ٤، جـ ٢ ص ١٥٧، جـ ٥ ص ٢٧٧، جـ ٧ ص ٢٩٢ .
- ابن الأثير : الكامل، جـ ٣ ص ٩٩ - ١٠٠، ٤٣٧، جـ ٤ ص ٣٨٠، ٥٣٧ .
- البلاذري : فتوح، ص ٤٢٠ - ٤٢٤ .
- الطرازي : الموسوعة، جـ ١ ص ١٤٨ - ١٥٩ .

ولم نفصل في جانب الفتح الإسلامي لمكران حيث كتبنا عنها في البحث العلمي عن ميناء ديبل "كراشي" .